ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلثمائة

ذكر موت معزّ الدولة وولاية ابنه بختيار

في هذه السنة، ثالث عشر ربيع الآخر، توفي معزّ الدولة بعلّة الذرب[1]، وكان بواسط، وقد جهّز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين، فابتدأ به الإسهال، وقوي عليه، فسار نحو بغداد وخلف أصحابه، ووعدهم أنه يعود إليهم؛ لأنه رجا العافية، فلما وصل إلى بغداد، اشتدّ مرضه، وصار لا يثبت في معدته شيء، فلما أحس بالموت، عهد إلى/ ابنه عز الدولة بختيار، وأظهر التوبة، وتصدّق بأكثر ماله، وأعتق مماليكه، ورد شيئاً كثيراً على أصحابه، وتوفي في ربيع الآخر، ودفن بباب التبن في مقابر قريش، فكانت إمارته إحدى وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً ويومين. ج٧/٢١/ط

وكان حليماً كريماً عاقلاً، ولما مات معز الدولة، وجلس ابنه عز الدولة في الإمارة، مطر الناس ثلاثة أيام بلياليها مطراً دائماً، منع الناس من الحركة، فأرسل إلى القوّاد فأرضاهم، فانجلت السماء، وقد رضوا فسكنوا، ولم يتحرك أحد[2].

وكتب عز الدولة إلى العسكر بمصالحة عمران بن شاهين، ففعلوا وعادوا، وكانت إحدى يدي معز الدولة مقطوعة، واختلف في سبب قطعها، فقيل: قطعت بكرمان لما سار إلى قتال من بها، وقد ذكرناه، وقيل: غير ذلك.

وهو الذي أحدث أمر السعاة، وأعطاهم عليه الجرايات الكثيرة؛ لأنه أراد أن يصل

---

(١) الذرب: داء يعرض للمعدة فلا يهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٠٧)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ١٨٢، ١٨٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٦)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٥١٩)، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٨٩، ١٩٠)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢٣١، ٢٣٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٩٥)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٢/ ٣٥٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٤، ٣١٥).

خبره إلى أخيه ركن الدولة سريعاً، فنشأ في أيامه فضل ومرعوش وفاقاً جميع السعاة، وكان كل واحد منهما يسير في اليوم: نيفاً وأربعين فرسخاً، وتعصّب لهما الناس، وكان أحدهما: ساعي السنة، والآخر: ساعي الشيعة[١].

ذكر سوء سيرة بختيار وفساد حاله

لما حضرت معزَّ الدولة الوفاة، وصى ولده بختيار بطاعة عمه ركن الدولة، واستشارته في كل ما يفعله، وبطاعة عضد الدولة ابن عمه؛ لأنه أكبر منه سناً، وأقوم بالسياسة، ووصّاه بتقرير كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسين، وأبي الفرج محمد بن العباس، لكفايتهما وأمانتهما، ووصّاه بالديلم والأتراك، وبالحاجب سبكتكين، فخالف هذه الوصايا جميعها، واشتغل باللهو، واللعب، وعشرة النساء، والمساخر، والمغنين.

وشرع في إيحاش كاتبيه وسبكتكين، فاستوحشوا وانقطع سبكتكين عنه، فلم يحضر داره، ونفى كبار الديلم عن مملكته شرّها إلى إقطاعاتهم، وأموالهم، وأموال المتّصلين بهم، فاتفق أصاغرهم عليه، وطلبوا الزيادات، واضطر إلى مرضاتهم، واقتدى بهم الأتراك، فعملوا مثل ذلك، ولم يتم له على سبكتكين ما يريد لاحتياطه، واتفق الأتراك معه، وخرج الديلم إلى الصحراء، وطالبوا بختيار بإعادة من أسقط منهم، فاحتاج أن يجيبهم لتغيّر سبكتكين عليه، وفعل الأتراك أيضاً مثل فعلهم، واتصل خبر موت معزّ الدولة بكاتبه أبي الفرج محمد بن العباس - وهو: متولي أمر/ عمان - فسلّمها إلى نواب عضد الدولة، وسار نحو بغداد. ج٧/٢٢/ط

وكان سبب تسليمها إلى عضد الدولة: أنّ بختيار لما ملك بعد موت أبيه، تفرّد أبو الفضل بالنظر في الأمور، فخاف أبو الفرج أن يستمر انفراده عنه، فسلم عمان إلى عضد الدولة، لئلا يؤمر بالمقام فيها، لحفظها وإصلاحها، وسار إلى بغداد، فلم يتمكّن من الذي أراد، وتفرّد أبو الفضل بالوزارة[٢].

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٦).

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٢) مختصراً، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٦) مختصراً، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٥١٩، ٥٢٠)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥).

ذكر خروج عساكر خراسان وموت وشمكير

وفي هذه السنة، جهّز الأمير منصور بن نوح ـ صاحب خراسان وما وراء النهر ـ الجيوش إلى الري، وكان سبب ذلك: أنّ أبا علي بن إلياس، سار من كرمان إلى بخارى ملتجأ إلى الأمير منصور، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، فلما ورد عليه، أكرمه وعظّمه، فأطمعه في ممالك بني بُوَيه، وحسن له قصدها، وعرفه أن نوّابه لا يناصحونه، وأنهم يأخذون الرشا من الديلم، فوافق ذلك ما كان يذكره له وشمكير، فكاتب الأمير منصور وشمكير والحسن بن الفيرزان، يعرفهما ما عزم عليه من قصد الري، ويأمرهما بالتجهّز لذلك ليسيرا مع عسكره.

ثم إنه جهز العساكر، وسيّرها مع صاحب جيوش خراسان ـ وهو: أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور الدواتي ـ وأمره بطاعة وشمكير والانقياد له، والتصرّف بأمره، وجعله مقدّم الجيوش جميعها. فلما بلغ الخبر إلى ركن الدولة، أتاه ما لم يكن في حسابه، وأخذه المقيم المقعد، وعلم أنّ الأمر قد بلغ الغاية. فسيّر أولاده وأهله إلى أصبهان، وكاتب ولده عضد الدولة يستمدّه.

وكاتب ابن أخيه عز الدولة بختيار يستنجده أيضاً، فأما عضد الدولة، فإنه جهّز العساكر وسيّرهم إلى طريق خراسان، وأظهر أنه يريد قصد خراسان لخلوّها من العساكر، فبلغ الخبر أهل خراسان، فأحجموا قليلاً، ثم ساروا حتى بلغوا الدامغان، وبرز ركن الدولة في عساكره من الري نحوهم، فاتّفق موت وشمكير.

فكان سبب موته: أنه وصله من صاحب خراسان هدايا من جملتها خيل، فاستعرض الخيل، واختار أحدها وركبه للصيد، فعارضه خنزير قد رمي بحربة وهي ثابتة فيه، فحمل الخنزير على وشمكير ـ وهو غافل ـ فضرب الفرس، فشبّ تحته، فألقاه إلى الأرض وخرج الدم من أذنيه وأنفه، فحمل ميتاً، وذلك في المحرّم من سنة سبع وخمسين. وانتفض جميع ما كانوا فيه، وكفى الله ركن الدولة شرّهم، ولما مات وشمكير، قام ابنه بيستون مقامه، وراسل ركن الدولة وصالحه، فأمدّه ركن الدولة بالمال والرجال.

ومن أعجب ما يحكى مما يرغب في حسن النية وكرم المقدرة: أن وشمكير لما اجتمعت معه عساكر خراسان وسار، كتب إلى ركن الدولة يتهدّده بضروب من الوعيد والتهديد، ويقول: والله لئن ظفرت بك، لأفعلن بك ولأصنعن بألفاظ قبيحة. فلم يتجاسر

الكاتب أن يقرأه، فأخذه ركن الدولة فقرأه، وقال للكاتب: اكتب إليه: أما جمعك وأحشادك، فما كنت قط أهون منك على الآن، وأما تهديدك وإيعادك، فوالله لئن ظفرت بك لأعاملنك بضده، ولأحسنن إليك، ولأكرمنّك.

فلقي وشمكير سوء نيّته، ولقي ركن الدولة حسن نيّته. وكان بطبرستان عدو لركن الدولة، يقال له: نوح بن نصر، شديد العداوة له، لا يزال يجمع له ويقصد أطراف بلاده، فمات الآن، وعصى عليه بهمذان إنسان، يقال له: أحمد بن هارون الهمذاني، لما رأى خروج عساكر خراسان، وأظهر العصيان، فلما أتاه خبر موت وشمكير، مات لوقته، وكفى الله ركن الدولة همَّ الجميع[1].

ذكر القبض على ناصر الدولة بن حمدان

في هذه السنة، قبض أبو تغلب بن ناصر الدولة على أبيه، وحبسه في القلعة ليلة السبت، لستٍ بقين من جُمادى/ الأولى، وكان سبب قبضه: أنه كان قد كبر، وساءت أخلاقه، وضيّق على أولاده وأصحابه، وخالفهم في أغراضهم للمصلحة فضجروا منه، وكان فيما خالفهم فيه، أنه لما مات معزّ الدولة، عزم أولاده على قصد العراق وأخذه من بختيار، فنهاهم، وقال لهم: إن معز الدولة قد خلف ما لا يستظهر به ابنه عليكم، فاصبروا حتى يتفرّق ما عنده من المال، ثم اقصدوه وفرّقوا الأموال، فإنكم تظفرون به لا محالة. ج٧/٢٣/ط

فوثب عليه أبو تغلب، فقبضه ورفعه إلى القلعة، ووكّل به من يخدمه ويقوم بحاجاته، وما يحتاج إليه، فلما فعل ذلك خالفه بعض إخوته، وانتشر أمرهم الذي كان يجمعهم، وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم، واحتاج أبو تغلب إلى مداراة عز الدولة بختيار، وتجديد عقد الضمان، ليحتجّ بذلك على إخوته ومن خالفه، فضمنه البلاد بألف ألف. ومائتي ألف درهم كل سنة[2].

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٧)، وذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤١٠، ٤١١)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤١١)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٦)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٨)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢٣٨).

ذكر من مات هذه السنة من الملوك

مات فيها وشمكير بن زيار، كما ذكرناه، ومعز الدولة وقد ذكرناه، والحسن بن الفيرزان، وكافور الأخشيدي، وتقفور ملك الروم، وأبو علي محمد بن إلياس، صاحب كرمان، وسيف الدولة بن حمدان، فأما سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي، فإنه مات بحلب في صفر، وحمل تابوته إلى ميافارقين، فدفن بها، وكانت علّته الفالج، وقيل: عسر البول. وكان مولده في ذي الحجة، سنة ثلاث وثلثمائة،/ وكان جواداً، كريماً، شجاعاً، وأخباره مشهورة في ذلك، وكان يقول الشعر، فمن شعره في أخيه ناصر الدولة[1]: ج٧/٢/ط

وَهَبْتُ لَكَ العَلِيَا وَقَدْ كُنْتَ أَهْلَهَا ... وقلتُ لهم بَيْنِي وبَيْنَ أَخِي فَرْقُ
وَمَا كَانَ بي عَنْهَا نُكولٌ وإنّما ... تجاوزتُ عَنْ حقي فَتمّ لَكَ الحقُّ
أما كُنْتَ تَرْضَى أَنْ أَكُونَ مُصَلِّياً ... إِذَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ السَّبْقُ[2]

وله أيضاً:

قَدْ جَرَى فِي دَمْعِهِ دَمُهُ ... فَإِلَى كَمْ أَنْتَ تَظْلِمُهُ
ردّ عَنْهُ الطَّرفَ منك فَقَدْ ... جَرحتْهُ مِنْكَ أَسْهُمُهُ
كَيْفَ يستطيعُ التجلّدَ من ... خطراتُ الوَهْمِ تُؤلِمُهُ[3]

ولما توفي سيف الدولة، ملك بلاده بعده ابنه أبو المعالي شريف، وأما أبو علي بن الياس، فسيرد ذكر موته سنة سبع وخمسين، وأما كافور، فإنه كان صاحب مصر، وكان من موالي الإخشيد محمد بن طغج، واستولى على مصر ودمشق بعد موت

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤١٠، ٤١١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ١٨٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٣، ٢٨٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٦ـ٣١٨)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٧، ٢٨)، وذكره أيضاً في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٨٧ـ١٨٩)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٢/ ٣٦٠ـ٣٦٤)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ١٤٢)، وذكره الثعالبي في «يتيمة الدهر» (١/ ١٥ ـ ٣٤).

الإخشيد، لصغر أولاده، وكان خصياً أسود، وللمتنبي فيه مديح وهجو، وكان قصده إلى مصر وخبره معه مشهور، ولما دفن كتب على قبره[١]:

انْظُر إِلَى غَيرِ الأَيام ما صَنَعَتْ ... أَفْنَتْ أُنَاسَاً بِهَا كَانُوا وَقَدْ فَنِيتْ

دُنْيَاهُمُ ضَحِكَتْ أَيام دولتهم ... حَتَى إِذَا انقرضوا نَاحَتْ لَهُمْ وَبَكَتْ

الوفيات

وفيها توفي أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصبهاني الأموي، وهو من ولد محمد بن مروان بن الحكم الأموي، وكان شيعياً، وهذا من العجب، وهو صاحب كتاب الأغاني وغيره[٢].

وفيها توفي يوسف بن عمر/ بن أبي عمر القاضي، وكان مولده سنة خمس وثلثمائة، وولي قضاء بغداد في حياة أبيه وبعده[٣]. ج٧/٢٥/ط

وفيها توفي أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم صاحب سهل التستري ﷺ[٤].

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤١١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٧)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ـ ٣٨٠ هـ) (١٤٩)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٢/ ٣٦٦)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٧، ١٠٨)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٣).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٦)، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ـ ٣٨٠ هـ) (١٤٣ـ ١٤٥)، «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٨٤)، «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٩٨)، «تاريخ الطبري» (١١/ ٤١٥)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٨)، «مرآة الجنان» (٢/ ٣٥٩)، «المنتظم» (١٤/ ١٨٥).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ـ ٣٨٠ هـ) (١٥٣، ١٥٤)، «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٢٢)، «المنتظم» (١٤/ ١٨٧، ١٨٨).

(٤) انظر: «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ـ ٣٨٠ هـ) (٢٢٥)، «العبر في خبر من غبر» (٢/ ٣٢٠)، «الحلة السيراء» (١٠/ ٣٧٨).